﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: 5]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التَّبشيرُ بزوالِ مُلْكِ فرعونَ يُسابِقُ الإخبارَ بإفسادِهِ

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقة ما أراده فرعونُ منَ العُلوِّ في الأرض واستضعافِ أهلها بجعلهم شيَعًا، وتذبيحِ أبناءِ بني إسرائيلَ واستحياءِ نسائهم؛ ناسبَ أن يذكر السّياقُ إرادةَ اللّهِ تعالى بعدَ ذلك، وهي المَنُّ على المستضعفين، بجعلهم أئمّةً وجعلهمُ الوارثين، فهي مقابلةٌ بين إرادة فرعونَ وما نتجَ عنها، وبين إرادة اللّه تعالى وما جاء بعدَها، لبيانِ قدرة اللّه تعالى في نفاذ أمره وهيمنته، وضعفِ ما سواه من أدعياء العُلوِّ والاستكبار.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَّمُنَّ﴾: (منن) أصلٌ يدُلّ على اصطناع الخير[1]، والإحسان[2]، والمِنَّةُ: النِّعمةُ الثَّقيلةُ، وذلكَ يقالُ على وجهين؛ أحدُهما: أنْ يكونَ ذلكَ بالفعلِ وذلكَ لا يكونُ حقيقةً إلّا للّهِ تعالى. والثّاني: أنْ يكونَ ذلكَ بالقولِ، وذلكَ مُستقبَحٌ فيما بينَ النّاسِ إلّا عندَ كُفْرانِ النِّعمة[3]. وقولُهُ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، أي: نتفضَّلَ عليهِم بإنقاذِهم مِنْ بأسِ فرعونَ[4].

2) ﴿أَئِمَّةً﴾: الإمامُ: المُؤتَمُّ بهِ، إنسانًا كانَ يُقتدَى بقولِهِ أو فعلِهِ، أو كتابًا، أو غيرَ ذلكَ، مُحِقًّا كانَ أو مُبطِلًا، وجمعُهُ: أئمَّةٌ[5]. وقولُهُ جلَّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (منن).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (منن).
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (منن).
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 171.
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (أمم).

ذكرُهُ: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾، أي: قادةً يُقتدَى بهِم بعدَ أنْ كانوا أتباعًا مُسخَّرينَ لآخرينَ[1].

3) ﴿ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: الميراثُ: أنْ يكونَ الشَّيءُ لقوم ثمَّ يصيرَ إلى آخرينَ بنَسَبٍ أو سببٍ[2]، ويقالُ لكلِّ مَنْ حصلَ لهُ شيءٌ مِنْ غيرِ تَعَبٍ: قد ورِثَ كذا، ويقالُ لمَنْ خوِّلَ شيئًا: أورِثَ، كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزّخرف: 72][3]. وقولُهُ: ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ معناهُ: يأخذونَ مُلْكَ فرعونَ وقومِهِ وكلَّ ما كانَ لهُم[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُبيِّن الآيةُ الكريمة إرادةَ اللّهِ تعالى فيما يختاره لعباده الصّابرين منَ التّفضُّل عليهم، بعدَ استضعافهم في أرض مصرَ على يدِ فرعون وآله، ونجعَلهم قادةً ومُلوكًا بعدَما كانوا أتباعًا أَذِلّاءَ لفرعونَ، ونجعلَهم يَرِثونَ مُلْكَ فرعونَ وقومِهِ بعدَ إهلاكِهم.

إنعامُ اللهِ للمُستضعَفينَ يأتي بعد الصَّبر وطلبِ الأجر

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

الظّاهرُ أنَّ جملةَ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ معطوفةٌ على جملةِ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ لِما بينَهما مِنَ التَّناسُبِ في الغرضِ[5]؛ فإنَّ ما في تلكَ الجملةِ مِنْ تذبيحِ الأبناءِ واستحياءِ النِّساءِ مِنْ عُلوِّ فرعونَ في الأرضِ، وهو بيانٌ لنبأِ موسى وفرعونَ، وإرادةُ اللّهِ الخيرَ بالّذينَ استضعفَهم فرعونُ مِنْ تمامِ هذا النَّبأِ[6]. ويجوزُ أنْ تكونَ

إرادةُ الخيرِ تأتي من حيثُ يُظنُّ تمكُّنُ الباطلِ

(1) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 628، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 3.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ورث).
(3) الرّاغب، المفردات: (ورث).
(4) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 628.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 392.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 70.

الجملةُ حالًا مِنْ ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾، أي: يستضعفُهم فرعونُ ونحنُ نريدُ أنْ نَمُنَّ عليهِم[1].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بصيغة المضارعِ:

إرادةُ اللهِ المَنّ على المستضعفين سُنَّةٌ ماضيةٌ إلى يوم الدّين

جاء التَّعبيرُ بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾؛ لحكايةِ الحالِ الماضيةِ واستحضارِها؛ تصويرًا لها كأنَّها تقعُ الآنَ[2]، والغرضُ مِنْ هذا التَّصويرِ: التَّعجيبُ مِنْ هذهِ الحالةِ العجيبةِ، العظيمةِ الشَّأنِ، الَّتي تدلُّ على أنَّ للهِ حُكْمًا وإرادةً فوقَ إرادةِ البشرِ وحُكْمِهم، وأنَّهُ سبحانَهُ قادرٌ على قلبِ الأمور، ونُصرةِ المظلومينَ وإهلاكِ الظّالمينَ، والمعنى: إنَّ فرعونَ يَطغَى عليهِم، واللهُ يريدُ في ذلكَ الوقتِ إبطالَ عملِهِ وجَعْلَهم أُمَّةً عظيمةَ الشَّأنِ[3]، وفي هذا تسليةٌ لكلِّ مظلومٍ مُستضعَفٍ وإن طالَ زمنُ استضعافِهِ، وفي الصّيغة دلالةٌ إيمائيَّة إلى أنَّ الله تعالى يريد ذلك المَنّ على الدَّوام لجميع المستضعفين، فالآيةُ أقربُ ما تكون إلى كونها سنَّةً مستمرّة إلى يوم الدّين، وهي بشارةٌ لا تتوقّف لمَن آمن بها وعمل بها.

بلاغةُ إسنادِ الأفعالِ إلى نونِ العظَمةِ:

تبشيرُ المؤمنين بالمنِّ والتَّمكين من ربِّ العالَمين

أُسنِدَتِ الأفعالُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ إلى نونِ العظَمةِ؛ لتعظيمِ شأنِ هذهِ الأفعالِ، وهي الإرادةُ، والمَنُّ على بني إسرائيلَ، وجعلُهم أئمَّةً، وجعلُهمُ الوارثينَ؛ لأنَّها لا تَصدُرُ إلّا مِنْ ذي العظَمةِ والجلالِ الَّذي لا يُرَدُّ أمرُهُ، وما فرعونُ وجَبَروتُهُ وسَطْوتُهُ وقَهْرُهُ في جانبِ قدرةِ اللهِ تعالى وإرادتِهِ إلّا هباءٌ، وفيها إشارةٌ إلى أنَّ هذه الإرادةَ ليست خاصّةً ببني إسرائيل، بل هي عامَّةٌ فيهم وفي

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 392.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 578، وابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 467.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 70.

كلٍّ من شابه حالَهم، فهي بشارةٌ وتطمينٌ للمؤمنين، بأنَّه سيكون لهم منَ المنِّ والتّمكين ما كان لغيرِهم.

بلاغةُ الإطناب بذِكر فعلِ الإرادةِ:

إرادتـــه تـعـالى مطلقةٌ مهيمنةٌ، ومنُّه يتنزَّلُ فيما تقتضيه حكمتُه

آثرَ النَّظمُ الكريم ذكرَ فعلِ إرادة المنّ مع ما فيه من إطنابٍ، فقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾، دون الاكتفاء بذكرِ فعلِ المنِّ وحدَه، فلم يُقَلْ: (ونَمُنُّ)؛ وذلك لأنَّ ذكرَهُ أبلغُ؛ إذ مرادُ اللّهِ تعالى لا يتخلَّفُ عن إرادتِه[1]، فيفيدُ الكلامُ تحقُّقَ المرادِ يقينًا، فيكونُ أنسبَ بمقامِ العِبْرةِ والموعظةِ، كما أفاد ذكر فعل الإرادة أنَّه كان وما زال وسيبقى، فهو سنَّة أرادها اللّهُ تعالى، وسنّته لا تتخلّف عن عباده المؤمنين، ولو ذكر فعلَ المنِّ وحدَه لظُنَّ أنَّه حكاية ما حصل لبني إسرائيل، فذكَر الإرادةَ ليُعْلم أنَّها باقية في الحال والمستقبل كما كانت في الماضي.

فائدةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ:

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِه تعالى: ﴿أَن نَّمُنَّ﴾، وقولِه: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾؛ لأنَّ المَنَّ وما عُطِفَ عليهِ أمورٌ مُستقبلةٌ بالنِّسبةِ للإرادةِ[2]، فيكونُ تحقُّقُها عَقِبَها.

سِرُّ استعمالِ مفردةِ المنِّ دونَ النَّصرِ:

إنـجـاءُ المؤمنين مَحْضُ فضلٍ مِنَ اللهِ تعالى ويلزم عنه النَّصرُ

آثرَ النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة المنِّ في قوله تعالى: ﴿أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾، دون مفردةِ النّصر، فلم يُقَلْ: (أنْ ننصرَ الَّذينَ استُضعفوا)؛ لأنَّ المَنَّ فيهِ إشارةٌ إلى أنَّ تخليصَهم مِنْ فرعونَ مَحْضُ فضلٍ مِنَ اللّهِ، لا بمباشرةٍ منهُم لأسبابِه، فقد أهلكَ اللّهُ فرعونَ وجنودَهُ بالغرقِ، ولم يُقتَلْ مِنْ بني إسرائيلَ رجلٌ واحدٌ، ولو عُبِّرَ بالنَّصرِ لربَّما ظُنَّ أنَّهم باشَروا حربًا أو قتالًا، وأيَّدَهم اللّهُ بعدَ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 468.

(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 62، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 253.

ذلكَ، والواقعُ بخلافِ ذلكَ، كما أنَّ ذِكر المنِّ أدعى لمعرفةِ فضلِ الله على بني إسرائيل، يُضافُ إلى ذلكَ أنَّ ذِكر جَعْلِهم أئمَّةً وجَعْلِهم وارثينَ يستلزمُ حصولَ النَّصرِ، فالنَّصرُ من توابع فضلِ الله تعالى ومنِّه على عبادِه.

بلاغةُ حرفِ الاستعلاءِ:

المـــنُّ الإلـهـيُّ محيطٌ بالمؤمنين نـــــازلٌ عـلى المُحسنين

دلَّ استعمالُ حرفِ الاستعلاءِ المجازيِّ في قولِه سبحانَهُ: ﴿أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ على تعظيمِ شأنِ المَنِّ على بني إسرائيلَ، بتصويرِهِ بصورةِ شيءٍ قد غَشيَهم واشتملَ عليهم مِنْ جميعِ الجوانبِ، فأصابَ الجميعَ، ولم يُغادِرْ منهُم أحدًا، وأنَّ منزلةَ المنِّ منهم منزلةَ العُلوِّ ممّا هو دونه، فهو منٌّ المولى سبحانه، وفضلُ العظيمِ في معاملةِ أوليائه.

توجيهُ إظهارِ ما حقُّه الإضمار:

استـضـعـافُ المؤمنين مَجْلَبةٌ للنَّصرِ والتَّمكين

مُقتضَى الظّاهرِ أنْ يقالَ: (ونريدُ أنْ نَمُنَّ عليهم)، لكنْ وُضِعَ الموصولُ موضعَ الضَّميرِ، فقيلَ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾؛ وذلك لإظهارِ قَدْرِ النِّعمةِ على بني إسرائيلَ بذِكر حالتِهم السّابقةِ المغايرةِ لها[1]، وللإشارةِ إلى أنَّ علَّةَ استحقاقِهم المَنَّ والكرمَ هي استضعافُهم[2]، كأنَّهُ قيلَ: ونريدُ أنْ نَمُنَّ عليهم؛ لأنَّهم مُستضعَفونَ، وفي ذلكَ بُشرى للمظلومينَ بأنَّ اللّهَ رحيمٌ بعبادِه، وينصرُ المُستضعَفينَ المظلومينَ - إنْ أرادَ - في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

إشارةُ بناءِ الفعلِ للمفعولِ:

كـلُّ مستضعفٍ صـابـرٍ سيأتيه الـفـرجُ بـالمَـنِّ والإحسانِ

بُنِيَ فعلُ ﴿ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ للمفعولِ في قولِه تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾، ولم يُقَلْ: (استضعفَهم فرعونُ)، من باب الإيجاز، ولإيهامِ أنَّ استضعافَ فرعونَ جعلَهم مِنَ الذُّلِّ بحيثُ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 3.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 70.

يستضعفُهم كلُّ أحدٍ، ولا يقدرونَ على ردِّه، وفيهِ تعميم الخطابِ لجميعِ المُستضعَفينَ في الأرضِ ممَّنْ شاءَ اللَّهُ نصرَهم، سواءٌ الَّذينَ استضعفَهم فرعونُ أم الَّذينَ استضعفَهم غيرُهُ، ويُقوّي ذلكَ التَّعبيرُ بالموصولِ كما تقدَّمَ، فيكونُ في الكلامِ تعريضٌ بأنَّ اللَّهَ تعالى سيَمُنُّ على المُستضعَفينَ مِنَ المؤمنينَ، وينصرُهم على قريشٍ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالماضي:

استضعافُ بني إسرائيلَ أمرٌ ثابت متحقّق

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِه تعالى: ﴿ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾؛ للدّلالةِ على أنَّ استضعافَ بني إسرائيلَ أمرٌ قد تحقَّقَ وثبتَ، ورسخَ فيهم حتَّى صارَ صفةً ثابتةً لهُم يُعرَفونَ بها.

دلالةُ استعمالِ حرفِ الظّرفيّة:

المبالغةُ في تصويرِ الاستضعافِ بيانٌ لشديدِ المعاناة

استُعمل حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ للظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ، فأفاد أنَّ مكانَ استضعافِ بني إسرائيلَ هو الأرضُ، وما في هذا الحرفِ مِنَ الدّلالةِ على الاستغراقِ يُشيرُ إلى أنَّ الأرضَ كأنَّها قد امتلأَتْ مِن استضعافِ بني إسرائيلَ، وكأنَّ فرعونَ قد جعلَ الأرضَ سِجْنًا لهُم، يُذيقُهم فيهِ أنواعَ العذابِ، وهذا من بابِ التَّصويرِ والتّقريبِ لحجمِ المعاناةِ التي مرَّ بها بنو إسرائيل، وهو أسلوب مستعملٌ في القرآن من مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ [التّوبة: 118].

معنى تعريفِ ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾:

استضعافُ بني إسرائيل وقع في أرض مصر

المرادُ بالأرضِ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرضُ مصرَ[1] الَّتي سبقَ ذكرُها في قولِهِ تعالى: ﴿عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، فالتَّعريفُ فيها للعهدِ بدليلِ المقامِ.

دلالةُ تقييدِ فعلِ الاستضعافِ:

قُيِّد فعل الاستضعاف بالجارِّ والمجرورِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱسۡتُضۡعِفُواْ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 242.

مـــكـــانُ الاستـضـعـافِ هـــو مـــكـــانُ الاستخلاف

فِي ٱلْأَرْضِ﴾ معَ تقدُّمِهما في قولِهِ تعالى في وصفِ فرعونَ: ﴿عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ للتَّمهيدِ لإيقاعِ تمكينِ بني إسرائيلَ على نفسِ الأرضِ الَّتي وقعَ عليهم الاستضعافُ، كما دلَّ عليهِ قولُهُ: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 6]، وفي ذلكَ دليلٌ على أنَّ الأرضَ للّهِ، يورِثُها مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ، فترى أرضَ مصرَ قد تبدَّلَتْ صفتُها مِنْ كونِها مكانًا لعُلوِّ فرعونَ واستضعافِهِ بني إسرائيلَ، إلى مكانٍ لتمكينِهم ونصرِهم، وكلُّ ذلكَ ببركةِ اتِّباعِ موسى عليه السلام.

بلاغةُ عطفِ الجُمَل:

الإمامةُ والوِراثةُ مـن نِـعَـمِ المـنِّ والتَّمكين

الجملتان المعطوفتان بالواوِ في قوله تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ معطوفتانِ على قولِهِ تعالى: ﴿أَن نَّمُنَّ﴾، وهذا مِنْ عطفِ الخاصِّ على العامِّ[1]؛ لأنَّ جَعْلَهم أئمَّةً وجَعْلَهم الوارثينَ مِنْ جملةِ المنِّ عليهِم، وإفرادُهما بالذِّكرِ للإشعارِ بتعظيمِهما، حتَّى كأنَّهما مغايرانِ للمَنِّ، ولذلكَ عُطِفا عليهِ، فلا شيءَ أعظمُ مِنْ أنْ يكونَ الإنسانُ مالكًا أمرَ نفسِهِ، وقُدوةً لغيرِهِ فيما يُرضي اللّهَ تعالى، وأنْ يكونَ مُستخلَفًا في الأرضِ يَعْمُرُها بالخيرِ.

دلالةُ استعمالِ مفردةِ الجَعْلِ:

دوامُ الحالِ من المُحال

استُعمل فعلُ الجَعْلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾؛ لأنَّ مِنْ معانيهِ التَّصييرَ، وتبديلَ صفةِ الشَّيءِ، وتحويلَ حقيقتِهِ، فيفيدُ الكلامُ تصييرَ بني إسرائيلَ صالحينَ للقيادةِ والمُلْكِ بعدَ كونِهم أذِلّاءَ مُستضعَفينَ، وتصييرَهم مالكينَ بعدَ كونِهم مملوكينَ، فسبحانَ مالكِ المُلْكِ، يُؤتي المُلْكَ مَنْ يشاءُ، وينزعُ المُلْكَ ممَّنْ يشاءُ، ويُعِزُّ مَنْ يشاءُ، ويُذِلُّ مَنْ يشاءُ، وهذا التَّصييرُ إنَّما بأمرِ اللّهِ تعالى، ففيه منَّةٌ ونعمةٌ وفضلٌ وبشرى.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 71.

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ الأئمَّةُ دون الهُداةُ:

الأئـمَّـةُ أنسبُ بـتـصـيـيرِ بني إسرائيلَ مُلوكًا ودعـاةً يُقتدَى بهِم

جاء استعمالُ لفظِ الأئمَّةِ في قولِه تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ دون (هداة)، والإمام هو المُؤتَمُّ بهِ، إنسانًا كانَ أو غيرَهُ، مُحِقًّا كانَ أو مُبطِلًا[1]، والهُداةُ: جمعُ هادٍ، والهدايةُ في الأصلِ: دلالةٌ بلُطْفٍ؛ وجعلهم أئمّة أنسبُ بالمعنى المرادِ، وهو أنَّهُ سبحانَهُ أخرجَ بني إسرائيلَ مِنْ ذلِّ العبوديَّةِ، وجعلَهم أمَّةً حُرَّةً مالكةً أمرَ نفسِها، لها شريعةٌ عادلةٌ وقانونٌ وحضارةٌ كاملةٌ، بحيثُ تصيرُ قُدوةً للأممِ، في شؤونِ الكَمالِ وطَلَبِ الهَناءِ، فَهَذا مَعْنَى جَعْلِهِمْ أَئِمَّةً، أي: يَقْتَدي بِهِمْ غَيْرُهُمْ ويَدْعونَ النّاسَ إلَى الخَيْرِ[2]. واختيارُ لفظِ الأئمَّةِ يناسبُ ما وصفَ بهِ ﷺ فرعونَ وقومَهُ في قولِهِ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: 41][3]، وشتّانَ بينَ إمامِ الخيرِ وإمامِ الشَّرِّ.

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿أَئِمَّةً﴾:

تعظيمُ إمامةِ بني إسرائيلَ، وتفخيمُ شأنِها

نُكِّرَ لفظُ ﴿أَئِمَّةً﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾؛ لتعظيمِ إمامةِ بني إسرائيلَ، وتفخيمِ شأنِها، أي: ونجعلَهم أئمَّةً عظيمي الشَّأنِ، قُدوةً لغيرِهم، لا سلطانَ لظالمٍ عليهِم.

علَّةُ تقديمِ الإمامةِ على الوراثةِ:

الإمـامـةُ أعظمُ مِنَ الوِراثةِ

قُدِّمَ ذكرُ الإمامةِ على الوراثةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ معَ تقدُّمِها عليها زمانًا؛ لانحطاطِ رتبتِها عن الإمامةِ، وإنْ كانَتْ عظيمةً في ذاتِها، ولئلّا ينفصلَ عنهُ ما بعدَهُ الَّذي هو مِنْ روادفِهِ، وهو قولُهُ تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 6][4].

بلاغةُ تكرارِ فعلِ الجَعْلِ:

مـقـتـضى التَّنويه بالنِّعَمِ استـحـضـارُ الشُّكر

آثرَ النَّظمُ الكريم تكرارَ فعلِ الجَعْل في قولِهِ تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (أمم).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 71.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 242.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 3.

﴿أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ فلم يقل: (ونجعلَهم أئمَّةً ووارثينَ)؛ لإفادةِ أنَّ جَعْلَهم الوارثينَ نعمةٌ مستقلَّةٌ جديرةٌ بأنْ تُفرَدَ بالذِّكرِ. ولو لم يُكرَّر الجعلُ؛ لظُنَّ أنَّها تابعةٌ للنِّعمةِ السّابقةِ، فيَفوتُ التَّنويهُ بشأنِها، ومقتضى التّنويه الشُّكر بالذِّكر، واستحضارِ النِّعَم.

بلاغةُ المجازِ في استعمال مفردة الإرثِ:

المرادُ بقولِه تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: أنْ يصيرَ لبني إسرائيلَ ما كانَ لفرعونَ وقومِه مِنَ المُلْكِ والدّيارِ وغيرِ ذلكَ[1]، فيكونُ الإرثُ مُستعمَلًا مجازًا في خلافةِ الأمَّةِ أمَّةً أخرى[2].

بلاغةُ تعريفِ لفظِ ﴿ٱلْوَٰرِثِينَ﴾:

شـأنُ العظيمِ توريثُ الضَّعيفِ وإعزازُ الذّليل

عُرِّفَ لفظُ ﴿ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ في قولِه عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾؛ للدّلالةِ على أنَّهم قد ورِثوا جميعَ ما كانَ مُنتظِمًا في سِلْكِ مُلْكِ فرعونَ وقومِه وِراثةً كاملةً[3]، لا ينازعُهم فيها أحدٌ، فالتَّعريفُ للجنسِ المفيد أنَّهم أهلُ الإرثِ الخاصِّ، وهو إرثُ السُّلطةِ في الأرضِ بعدَ مَنْ كانَ قبلَهم مِنْ أهلِ السُّلطانِ[4].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 392.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 71.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 3.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 71.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»